أ. علي اكبر رشاد
مفكر وباحث اسلامي -ايران

دراسات ومقالات

اهداف وأسس الحوار الديني والحضاري

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(سورة الحجرات، الآية ١٣)

قبل ان الج في صميم البحث، اجد من الضروري الاشارة الى ثلاث نقاط:

الاولى، عدم وجود تعريف منقح يجمع عليه الكل فيها يتعلق بمقولة «حوار الاديان او الحضارات»، لذلك طرحت القضية من زوايا وعلى اسس مختلفة، ومن هنا، نجد مجالاً علمياً واسعاً للعمل في هذا الموضوع. لذلك نجد المواقف والآراء المؤيدة او الرافضة لهذا النشاط غافلة بالاساس عن اهداف وتبعات وانواع الحوار.

الثانية، لا يتعدى الموقف ازاء اي مشروع يطرح اليوم بين رافض ومؤيد له، وبالطبع فأن نفس المعارضة او التأييد والسجالات النظرية والفكرية التي تجري ازاء فكرة ورأي معين، تعد ايجابية بحد ذاتها وطبيعية. لكن الغريب هو ان بعض هذا التأييد او الرفض يتخذ اشكالاً متطرفة، فيدافع المؤيدون عن افكارهم ويجعلونها مطلقة ويرفض الآخرون الفكرة جملة وتفصيلاً. ولعل مشكلة الافراط والتفريط هي من اكبر المشاكل التي يواجهها عصرنا، والتي لها اسباب مختلفة لعل منها:

تسييس المعرفة والمباحث الفكرية والنظرية،او الخلط بين المباحث العلمية والمجاملات او الأغراض الشخصية، مما عرّض البحث والحراك العلمي الى آفات كبيرة ومخاطر عظيمة.

و مسألة الحوار بين الاديان والحضارات من جملة القضايا التي واجهت التسييس، ولأنها مشروع جديد نسبياً على المستوى العالمي، فقد شهدت خلطاً سياسياً منذ بدايتها، بل قامت على ارضية سياسية، وقد عانت من المواقف المتطرفة في رفضها وتأييدها على السواء.

الثالثة، بالرغم من ان المقارنة بين الافكار والاديان والثقافات والحضارات، وبيان العلاقات التي تربطها مع بعضها،يعتبر من المباحث القديمة، لكن هواجس واهداف الحوار والعلاقة بين الاديان والحضارات، يعد مشروعاً جديداً. لذلك فأن هذا النشاط العلمي والثقافي لا يزال غير ممأسس ولا يقوم على قواعد واضحة.

و بالنظر الى ضيق الوقت، سأكتفي بالنقاط الثلاث التي اشرت اليها دون البحث في القضايا الاساسية والبنيوية، وبالاشارة الى بعض الفروضات المسبقة والاسس الموضوعة،سأقوم مباشرة بطرح وبيان عنوان كلمتي وهو «اهداف واسس الحوار الديني والحضاري»، او الحوار الناجح.

لهذا الموضوع فروضاته المسبقة، لذلك فالدخول فيه يعني اننا قبلنا بتلك الفروضات التي منها،امكانية التفاهم والتعامل بين الحضارات والاديان، او على الاقل بين بعضها. لانه لو كنا نذهب الى القول بالتعارض او الصدام وعدم امكانية التعامل بين تلك الحضارات، لما عنونا حديثنا بالاهداف والاسس التي يقوم عليها الحوار الديني والحضاري. وفي الوقت نفسه فأن هذا العنوان يتضمن اشارة اخرى، وهي: ان للنشاط الفكري والنظري وحتى العملي احياناً قواعد واطر محددة، لانه من الصعب انجاز عملية الحوار دون وجود اسس وقواعد ودون توافر ظروف وارضية مناسبة وبدون تحديد اهداف واضحة. وأأكد : ليس الحوار وحده يتحول الى عبث دون تحديد اهدافه وتعيين الاسس التي يقوم عليها، بل ستكون اضراره اكبر من منافعه، وقد يكون من غير الممكن القيام به. فلو لم تعرفوا اهداف واسس هذا الحوار، عندها لا يمكنكم انجاز شيء

في هذا الصدد، لانه من الصعب تصور علاقة بين طرفي الحوار او اي نوع من تبادل الخطاب بينهما دون وجود آفاق واضحة واسس بينة له. واذا لم نعرّف اهدافاً يصبح من الصعب الحوار، لان السؤال الاول الذي يطرح نفسه هنا، هو : لماذا الحوار ؟ وان دخول ساحة الحوار مع منافس دون اسس واهداف يقوم عليها هذا الحوار، لا يمكن ان نعتبره حواراً بأي شكل من الاشكال. لذلك اجد نفسي وقبل الحديث عن اسس الآراء المطروحة حول الصدام او التعامل،ملزماً بالتفكير عملياً والبحث حول اسس واهداف الحوار. وبسبب ضيق الوقت سوف اركز هنا على الاهداف بالدرجة الاولى دون الاسس التي يقوم عليها الحوار الديني والحضاري.

و على اساس ما تقدم، ارىشخصيا ان الحوار الناجح، هو الذي يقوم على اهداف محددة وفي اطار اسس وقواعد دقيقة.

و الظاهر امكانية بيان اربعة عشر هدفاً وفائدة للحوار الديني والحضاري، ولعلكم تدركون جيداً صعوبة بيان اربعة عشر هدفاً لموضوع الحوار في اجتماع واحد، لذا سأضطر للتوقف ملياً عند بعض الاهداف والمحاور دون غيرها.

اما «الاهداف والتبعات» التي اعنونها واقترحها للحوار الديني والحضاري، فهي كالتالي :

١- اخراج الحضارات الانسانية العريقة والاديان الالهية الكبرى من حالة الانفعال ازاء الحضارة الجديدة.

٢- ردم الهوة بين التقليد والحداثة والتقليل من نواقص فترة ما بعد الحداثة.

٣- استعارة العلاجات المجربة من التراث الحضاري والديني العريق،لحلّ ازمات الانسان المعاصر.

٤- التعارف وزيادة مستوى المعرفة بين اصحاب الحضارات واتباع الاديان فيما يتعلق بالاسس والتراث الحضاري والديني عند الآخر. وبالتالي الاستفادة والانتقاء من المنجزات الانسانية الدينية والحضارية الموجودة لدى الآخرين.

٥- تحطيم الاستبداد الثقافي الذي تمارسه اقطاب السلطة في العالم والآثار السيئة للعولمة الغربية الاحادية الجانب.

٦ – تعزيز الوحدة بين اتباع الاديان من جهة والمجتمع الدولي من جهة اخرى.

٧ – تنمية مسيرة الامن وتشييد مباني السلام العالميين.

و للحوار تبعات اخرى : مثل عودة الثقة بالنفس بين المؤمنين، استعادة المتدينين لهويتهم الدينية، صقل الفكر الديني، احياء مكانة الدين، تقليل النزاعات بين الاديان، التمهيد لاتجاه بشري مضاعف نحو المعنويات، وازدهار العلاقات السياسية والاقتصادية بين الشعوب والدول في العالم وغير ذلك من الثمار والاثار القهرية للحوار الديني او الحضاري وتحقيق الاهداف التي اشرنا اليها. وبالطبع فأن تحقيق الاهداف وحصول التبعات مشروط بمراعاة منطق الحوار الثقافي والحضاري.

و فيما يلي نقدم شرحاً للاهداف والتبعات الاربعة عشرة التي اشرنا اليها سلفاً :

أ – الهدف الاول للحوار الديني والحضاري، يمكن ان يكون «اخراج الاديان والتقاليد المعنوية الكبرى والحضارات العريقة والممتدة في تاريخ الانسانية من حالة الانفعال في مقابل الحضارة الحديثة والمعاصرة». فالاديان السماوية هي الرسالات العميقة والتاريخية لخالق الانسان والعالم، والحضارات الانسانية العريقة هي تراث البشرية على مدى آلاف السنين. ومن خلال الحوار والتعامل يمكن لنا اخراج الاديان والحضارات من الهامشية والهجران الذي تعاني منه. فالحضارة الغربية الفتية ومن منطلق الغرور والقوة تهاجم الاديان والحضارات والثقافات الاخرى،و قد جعلت الحضارات والاديان الاخرى في موقف انفعالي ازاء سطوتها وهجومها، هذا في حين ان الحضارة الغربية الحالية مدينة للحضارات السابقة والاديان الالهية. لانه لا يمكننا تصور ظهور حضارة دفعة واحدة دون ارضية سابقة وامتدادات تاريخية واتصال بالماضي، وبدون الاستفادة من تعاليم الانبياء والمنجزات الفكرية والثقافية والعلمية البشرية السابقة، ولا توجد معجزة وطفرة بأسم الحضارة الغربية الحديثة في هذه الفترة التاريخية.

ان الشعور بالانفراد الذي تعيشه الحضارة الغربية المعاصرة من جهة، والاستلاب والتغييب الذي تمارسه الحضارات البشرية العريقة والسابقة بحق نفسها من جهة اخرى، جعل البشرية تواجه مشكلة كبيرة ومعضلة عظمى. وهذه المشكلة ذات حدين،

فأصحاب الحضارة الجديدة تقدموا بتعريف عن الحضارة والثقافة لا يشمل سوىالحضارة الغربية، وعلى مدى القرون الثلاثة او الاربعة الاخيرة وصفوا الشعوب الاخرى في العالم بأنها غير متحضرة وقالوا بذلك صراحة، للحد الذي اعتبروا فيه الشعوب الاخرى وحشية وبربرية.

ولم يخف هذه التعابير السيئة والبعيدة عن الادب والنزاكة مفكرون غربيون متأخرون من امثال «بوبر» الذي يقول : «نحن المتحضرون، ونحن اصحاب الحضارة الغربية تقع علينا مهمة ادارة الشعوب غير المتحضرة في العالم حتى لو استدعى ذلك القهر والاستبداد، وان نشرعن لهم انظمة صورية ونفرضها عليهم ليسيروا بالاتجاه الذي نريده»، اي انه يقول بصراحة : الغربيون هم المتحضرون فقط وغيرهم ليسوا كذلك ويجب ان يتولى الغربيون القيمومة عليهم. وليس بوبر وحده الذي يذهب الى هذا الرأي، فهناك الكثيرون من المفكرين والمستشرقين والسياسيين الغربيين من يرون ذلك. ومن هذا المنطلق نجد في مؤلفات المستشرقين تحقيراً للشعوب غير الغربية، بل حتى فيما يتعلق بأجزاء من القارة الامريكية، وان هذه الاستعلائية الغربية هي التي اضرت كثيراً بالعلاقات الانسانية العادلة في عالمنا المعاصر، مما ترك آثاراً سلبية للغاية على النسق الفكري البشري وتنمية المجتمعات الانسانية، ووجه ضربات قاسية لشخصية الشعوب الاخرى غير الغربية في العالم، وللأسف الشديد فأن بعض هذه الايحاءات نجدها في المجتمعات غير الغربية، وهو ما ادى الى نوع من الاستلاب الحضاري والثقافي لدى الشعوب غير الغربية في مواجهتها للحضارة والثقافة الغربية المتفرعنة. والحقيقة ان الحالتين وجهان لعملة واحدة، احدهما استلاب اصحاب واتباع الحضارات العريقة والشعوب غير الغربية والثانية الفرعونية التي تنطلي عليها افكار بعض الغربيين.

و لو كانت الاطراف الغربية المشاركة في الحوار صادقة ـ علىاعتبار ان الصدق من جملة الاسس التي يقوم عليها الحوار ـ وتعترف بوجود الحضارات الاخرى : الهندية، الصينية،الايرانية واليونانية (مع ان اليونان تقع من الناحية الجغرافية في الجزء الغربي من العالم، ومع ان الحضارة الغربية الحالية تعود بجذورها الى الحضارة اليونانية، لكنها

بالنهاية تختلف عن الحضارة الغربية الحالية)، وتتواجه معها على اسس وقواعد صحيحة ومعقولة، عندها سنصل بالطبع الى نتائج جيدة، ومن تلك النتائج خروج الحضارات البشرية العريقة من حالة الانفعال، وتحولها الى حالة فعّالة ونشطة، وان ترى لنفسها مكانة ومنزلة تتناسب معها، ومع انه قد تعتبر هذه القضية واحدة من التبعات والآثار، الاّ انه وحسب رأيي يجب اعتبارها هدفاً يسعى اليه الحوار الديني والحضاري.

ب ـ الهدف الآخر الذي يسعى اليه الحوار الحضاري، هو ردم الهوّة وتقليل المسافة بين مقولتي التقليد والحداثة، فـ «الانسان الحديث» وبالرغم من انني لا افضل هذا التعبير مع احتمال صحته، بل افضل تعبير «الانسان المعاصر». انقطع عن تاريخه وجذوره وماضيه. لان عصرنا وللاسف هو عصر تفضيل الانقطاع والتجزئة. ففي جميع المجالات، المعرفية والحياتية، نشاهد ترجيحاً وتفضيلاً للتمايز والانعزال والانقطاع علىالتواصل والارتباط.

و بالطبع يحتاج هذا الرأي الى المزيد من الشرح. للحد الذي اعتبر معه الانسان المعاصر انساناً من نوع آخر، غريباً عن تاريخه وجذوره، ويتصورون ان بين فترتي التقليد والحداثة قام جدار سميك وحائط ضخم بقطر الوجود وبأرتفاع التاريخ، فلا شبه بين الفترتين ولا ارتباط بينهما، مما ادى بالنهاية الى انقطاع ذي وجوه وذي ابعاد في شؤون الانسانية المعاصرة، وقد ترتب عليها برأيي آلاف المساوئ والاضرار. وعلى اية حال، يمكن للحوار بين الاديان والحضارات ان يلعب دور القيام بحفل المصالحة بين التقليد والحداثة. لأن الحوار بين الحضارات يعني ان ننظر الى الماضي، يعني ان الاديان الالهية والحضارات العريقة تمثل ماضي الانسان وجذوره. ولأن الانسان اليوم راغب عن ماضيه ومتناسياً له، فيجب ان يكون احد اهداف الحوار الديني والحضاري هو المصالحة بين انسان اليوم وانسان الامس، وعودة انسان اليوم الى تاريخه وجذوره.

ج ـ الهدف الثالث الذي يجب البحث عنه او رصده في عملية الحوار، هو البحث عن علاج للأمراض الحديثة. لاننا نواجه ازمات ومشاكل في عصرنا الحاضر يمكن حل العديد منها وعلاجها من خلال دراسة الماضي والبحث عن حلول للمشاكل التي تواجه الانسان حينها. وكما ان الانسان واجه مشاكل وصعوبات عند انتقاله من التقليد

الى الحداثة، فقد يواجه مشاكل اخرى وامراضاً وآلاماً جديدة عند انتقاله من الحداثة الى ما بعد الحداثة. ومع انه لا يمكننا الوقوف امام التحولات والانتقال التاريخي، لكن التدبير مؤثر في هذا المجال. فمن خلال اعادة دراسة الماضي الديني والحضاري والمعنوي للأنسانية، يمكننا الوصول الى علاجات للعديد من الامراض المعاصرة، وبتصوري يجب ان تشكل هذه القضية واحدة من اهم اهداف الحوار الديني والحضاري.

ان الانسان اليوم يتعرض لهجوم ازمات متعددة ومتنوعة. وهذه الازمات تحاصره من جميع الجهات، ولعل «ازمة المعرفة» هي اولها واصعبها. فقسم كبير من المجتمع العالمي اليوم يعاني من النسبية، وغارق في مستنقع الشك، ولم يبق في قلبه يقين سوى « اليقين بعدم اليقين». و«اليقين» يعتبر اليوم اسوأ اهانة توجه للمرء، وبالطبع هذا جزء من حالة التطرف التي اشرنا اليها من قبل، ولأن الشك والنسبية القيتا بالانسان في وادي الحيرة، فقد فقدت جميع الفرضيات حظها في البقاء.

اما الازمة الاخرى التي يواجهها الانسان المعاصر، فهي «ازمة التجزيئية»، اي النظر الى الاشياء بجزئية وعدم شمولية. وبسبب هذه الازمة لا توجد نظره شمولية للوجود. فلا وجود للقداسة في الحياة والوجود والمعرفة والحكمة، وبموازات اتساع المنهج التجريبي، تحول العالم وحتى الانسان ـ عملياً ـ الى شئ، او بعبارة اخرى الى مجرد جسد. فالعالم والكون من وجهة نظر الانسان المعاصر مجرد جسد وجسم كبير، جسم يتكون من اجسام غير مترابطة، وهذه مشكلة المعرفة والحكمة والعلم المعاصر.

ان الحضارات السابقة لم تواجه هذه الازمات الحالية بمثل هذه الحدّة. وعلينا ان لا نهرب الى الامام من خلال اتهام الانسان السابق بالجهل والغفلة،لأن هذه التهم لا تغير من الواقع شيئاً. بالعكس وقف الانسان في الماضي على العديد من المعارف والعلوم والعلاجات التي داوى بها امراضه. كما ان العديد من الآراء الواردة في الفلسفات المضافة، مثل : فلسفة العلم، المعرفة، المنطق، الرياضيات،الاقتصاد، القانون والسياسة المعاصرة، نجد جذورها في تعاليم الانبياء وعلوم ومعارف الماضين، حتى لو تغيرت عناوينها ومصطلحاتها. وصحيح انه لا يوجد من كتب مثلاً تحت عنوان علم المعرفة او

الابستمولوجيا، او فلسفة القانون والاقتصاد والسياسة وامثالها، لكننا نعلم ان الاصالة ليست للأسم، التسمية ليس لها دور في الحقيقة ذاتها. وبالطبع فأن جميع هذه الحقائق والمعقولات والفرضيات والآراء التي وردت في الماضي ليس لها نضج ودقة الاراء والنظريات المعاصرة، لكن يجب ان لا نتصور ان ما هو موجود حالياً وما توصل اليه الانسان في العصر الحاضر، حصل دفعة واحدة وليست له جذور. غريب، لماذا كل هذا الاصرار على انكار فضائل الماضين ؟ لقد طرحت الحضارات والثقافات السابقة حلولها تجاه الازمات التي واجهتها، ونحن تغافلنا عن ذلك !

و الازمة الثالثة التي تعاني منها البشرية اليوم، هي «فقدان فرصة التفكير» والوعي، فالانسان المعاصر وقع في مخالب غول يدعي تقنية الاتصال والبيروقراطية، فعصرته يد هذا الغول كما تعصر الورقة بيد الرجل القوي!! ولا مفر امام الإنسان المعاصر سوى ان ينظر «من فوق ومن الخارج» على الوجود والعلاقات وثقافة تعايش. ومن جانب آخر فأن هذه النظرة من الخارج، غير ممكنة الاّ اذا قامت على اسس قوية ومن زاوية معرّفة تماماً. فهل يمكن الوقوف في الخلأ ؟ ومن ثم النظر الى الانسان وتقديم تحليل دقيق عنه ؟ فلو نظرنا الى حاضرنا والنواقص والمشاكل التي نعاني منها، من زاوية الحضارات البشرية الغنية السابقة والتي لها نوعاً ما جذور دينية ومعرفية، قد نجد العديد من الحلول ونتخلص من الكثير من الازمات القائمة، وقد نتحرر من البيروقراطية المقيتة والتقنية وخاصة تقنية الاتصالات التي لا تضاهيها قوة اخرى.

اما المشكلة والازمة الرابعة، فهي ازمة استلاب الانسان المعاصر، والتي هي وليدة ونتاج الازمة الثالثة. فالانسان المعاصر لا يجد الفرصة الكافية للتفكير، وعلى هذا يواجه مشكلة الاستلاب التي تعدّ واحدة من الازمات الكبرى التي تواجهها البشرية. وبشكل عام فأن المكننة والبيروقراطية، جعلت الانسان مستلباً وبعيداً عن ادراك ذاته. اما حلّ هذه المعضلة واعادة الانسان الى الذات فيكمن في دراسة تعاليم الانبياء والحضارات السابقة والوقوف عليها من منطلقات ثابتة.

و تعتبر «ازمه الهوية» هي الازمة الخامسة التي يعاني منها الانسان المعاصر،

فالساحة البشرية تعج بتبعات هذه الازمة، لان المعنويات والاخلاق لا تحلان مشاكل الانسان اذا لم تدعما بالدين، ومع ان البعض اليوم يتحدث عن وجود ازمة اخلاقية ومعنوية الاّ انهم يحاولون علاجها من خلال تمرير وصفات تجعل «التدين» فرعاً على الاخلاق، او انهم يدعون صراحة للعلمانية والمعنوية بدون الله. انهم يغفلون عن ان المعنوية بدون الله لا اساس لها ولا معنى، وانه لا يمكن الوصول الى طريق وحلّ لازمة الاخلاق والمعنويات بدون ادخال عامل الدين. ومن هذا المنطلق، نجد ان ازمة الانسان المعاصر تكمن في انفصاله عن الدين وليس في ابتعاده المطلق عن المعنويات.

اما اذا نظرنا الى الحضارات القديمة والعريقة، سنجد ان جميع هذه الحضارات كانت ملازمة نوعاًما الى شكل من المعنويات او حتى تقوم على الدين. وهناك العديد من فلاسفة التاريخ والمؤرخين ـ ومنهم من العلمانيين ـ يؤمنون بأن الحضارة نشأت من الدين. حتى الحضارة القائمة لا يمكن وصفها بأنها لم تستفد من الدين بالمطلق، مع انها تقوم على العلمانية التي كان ظهورها واحد من اشكال رد الفعل ازاء تدين القرون الوسطى المحرّف والمشوه (لذلك نشاهد فيها عناصر عديدة تعارض الدين والتدين). لكن هذه الحضارة التي قامت منذ بدايتها على معارضة الدين والابتعاد عنه والدنيوية، نشاهد فيها خيوطاً دينية، وانها لم تستطع يوماً تجاهل بعض تعاليم الدين في مسعاها لحل ازمة المعنويات والاخلاق التي يعاني منها المجتمع العالمي المعاصر.

و الازمة السادسة التي تعاني منها البشرية اليوم، هي «ازمة عدم الاستقرار الاجتماعي وزوال الاسرة كمؤسسة». فالشعارات الفمنية الخاطئة والمغرضة احياناً، ادت الى تزلزل مؤسسة الاسرة في مناطق واسعة من الغرب، وبالرغم من ان الانسان الغربي اليوم ألتفت الى هذه المشكلة لكنه لا يدري كيف سيحلها، فهو قد هدّ صرح الاسرة ولا يعلم من اين يعيد بناءه، وذلك مع اعتقادنا بأن الاسرة مؤسسة شبه طبيعية ومن السهولة اعادة بنائها، وبالطبع شريطة رفع العقبات الاساسية الموجودة في حضارة الغرب اليوم، فالاسرة لن تنتهي الى الزوال لأن جذورها تمتد الى الفطرة الانسانية.

لكنها في الوقت الراهن تتعرض لهجوم وتشويه كبيرين، ومن خلال اعادة معرفة قيم الحضارات العريقة والتي كانت جميعها تدور اجتماعياً حول مؤسسة الاسرة، يمكن احياء الاسرة كمؤسسة.

اما الازمة السابعة، فهي ازمة تخريب الطبيعة والبيئة التي يعيش فيها الانسان، فالانسان المعاصر اليوم يواجه مشكلة في علاقته بالله والطبيعة، انه منفصل عن الله وعن الطبيعة، فالله هو خالق الانسان والطبيعة بيته وأمّه. وبدل ان ينظر اليها بعين البنوة ويتغذى منها، بدأ بالحرب عليها ونهبها، فأدى ذلك الى غضب الطبيعة، وقد ادت هذه المواجهة الى مشاكل اخرى كثيرة. فلا يوجد يوم لا نسمع فيه خبراً عن كارثة طبيعية او تخريب في البيئة،و قد اضحت هذه القضية واحدة من اكبر الازمات التي يواجهها الانسان المعاصر، والتي تهدد حياته المادية والمعنوية على السواء. والسبب في ذلك كله هو خطأ فهم الانسان ونظرته للطبيعة والخلل في نظرته الوجودية للعلاقة بينه وبينها. هذا في حين ان للطبيعة قدسيتها في الحضارات السابقة، انها وحسب الحضارات الدينية من صنع الله وبالتالي هي ملكه، فلا يجوز التصرف بالطبيعة دون اذن منه (وحسب التعاليم الدينية). وبالتالي فان الانسان يتحرك في الطبيعة علىاساس قوانين وضوابط الهية ودينية، ومن هذا المنطلق يتعامل معها. وبهذا الشكل لا يتم الاضرار بالبيئة. وحتى في بعض الحضارات الاخرى غير الدينية والمعنوية (فالبعض ينظر الى حضارات مثل الحضارة الصينية والحضارة الهندية على انها حضارات غير دينية، لكنها معنوية، مع ان آخرين يرون كل معنوية ديناً وبالتالي فأن جيمع الحضارات المعنوية هي حضارات دينية) فأن للطبيعة مكانة مقدسة، وبالتالي هم يتعاملون معها ضمن هذا النسق الفكري والروحي. والحقيقة من الصعب اعادة جسور الارتباط بين الانسان والطبيعة بدون اعادة قراءة المعطيات والتعاليم الاخلاقية التي هي حصيلة الثقافات والحضارات السابقة وخاصة الدينية منها. ولا يتيسر هذا المهم الاّ على خلفية حوار للطبيعة وطرح منظومة جديدة تؤطر العلاقة بين الانسان والطبيعة،والاّ فأن هذه الازمة ستنتهي الى تدمير الانسان.

خلاصة القول، هي ان الهدف الثالث للحوار الديني والحضاري ـ وقد اسهبت في

بيانه نظراً لأهميته ـ هو البحث عن علاجات مجربة وعريقة للآلام والامراض الجديدة والمزمنة ـ للأسف ـ التي يعاني منها الانسان المعاصر.

د ـ الهدف الرابع الذي لابد من السعي اليه في الحوار الديني والحضاري هو «التعارف» اي رفع مستوى المعرفة عن الاديان، وايضاً الحضارات فيما بينها، واستفادة بعضها من انجازات الاخريات على الصعيد الانساني.فهناك نقاط اشتراك والتقاء عديدة بين الاديان والحضارات المعنوية. ولو ان الاجواء الحوارية اعدت بشكل جيد بما يسمح او يؤدي الى سلسلة حوارات عادلة وعلمية بين اتباع مختلف الاديان والحضارات، فأن الكثير من الخلافات والمشاكل المطروحة علىالمستوى العالمي يمكن حلها وتجاوزها.فالقوى السياسية المغرضة تمارس اليوم هجمة دعائية مليئة بالتهم والافتراءات والتشوية المدمر ضد الاديان والثقافات والحضارات، وبالتالي لا يوجد دين ولا توجد حضارة بقيت في منأىعن سهام دعايتهم المهلكة وإعلامهم المغرض.

و بشكل عام فأن امام المجتمعات ثلاثة طرق فيما يتعلق بالثقافات والحضارات (من ذلك الثقافة والحضارة الغربية)، فأما «التهرّب» والنقد المطلق والمتطرف، او«القبول» والتسليم المحض،او «الاختيار» وانتقاء درر الحضارات والثقافات. ونحن نرى ان الحلّ والطريق الثالث هو ما ينتهي اليه الحوار الحضاري (شريطة ان يتم في اطار القواعد المقبولة والمعقولة والمنطقية.) اي الاختيار والانتقاء، ولو ان المسافات قلت بين الحضارات والثقافات، فأن الفكر الديني سيشهد تنامياً وتصاعداً يمكنه على اساسها الاجابة على الاسئلة التي يواجهها المجتمع المعاصر، وهذا حصيلة لزيادة معرفة كل حضارة واتباع كل ديانة بالآخر. انني عالم اسلامي وادرك ـ مثلاًـ ان هناك تعاليم اسلامية قيمة يمكن نقلها الى المجتمعات الاخرى، فمن تعاليم الاسلام الاساسية والعامة : التوحيد الخالص، العرفان الزلال والمعنوية الحقيقية، الانسجام بين التعبد والعقل، تقديم صورة واضحة ومقدسة عن الوجود، التفاؤل بالانسان والامل بمستقبل وضاء للعالم، هذه جميعها مما يشكل ضالة الانسان المعاصر. وهناك انجازات كبيرة ومهمة حصلت مع قيام الثورة الاسلامية في ايران يمكن ان تشكل تجارب ناجحة للبشرية، مثل : الانسجام بين التقليد والحداثة والدين، وهي تجربة ناجحة يمكن مشاهدتها من

خلال نظرية سيادة الشعب الدينية ونموذج حكومة الجمهورية الاسلامية. فهذا النموذج وهذه النظرية استطاعتا التوفيق بين الدين والبنى والهيكليات الحديثة، وان يجري تحديث العديد من تعاليم الدين دون افراغها من مضامينها الاسلامية.(ولضيق الوقت لا يمكنني التطرق اكثر حول هذا الموضوع واثبات ذلك بالدليل الكافي.) وبشكل عام، اقول ان التوفيق بين الحداثة العقلانية والمتزنة من جهة والتدين التقدمي والعقلاني يعد احد انجازات الثورة الاسلامية في ايران، وارى ان هذه القضية تشكل واحدة من جملة متطلبات الانسان في هذا العصر. لقد كان العالم يتصور استحالة التوفيق بين الدين والحداثة،فأما ان تكون حداثوياً او تكون متديناً، وانه لا بد من حصر النشاط الديني في بعض الطقوس التي تقام في اوقات محددة واماكن معينة، اما ما تبقى من الوقت فهو ملك للحداثة ! لكن الشعب الايراني ومن خلال ثورته الاسلامية حطم هذه الصورة.

هـ ـ والهدف الخامس الذي يمكن الوصول اليه من خلال الحوار الحضاري والثقافي، هو تحطيم وكسر الاستبداد الثقافي العالمي ومواجهة العولمة الغربية الاحادية النظرة.

ان القوى المسيطرة على العالم اليوم ترى ان حياتها، هويتها، سطوتها وهيبتها رهن بالقضاء واضعاف وافراغ القوى والشعوب الاخرى. فترى انسجامها وتكاملها في تشتيت الاخرين وتفريقهم وافشال مشاريعهم. وعلى هذا الاساس يمكن للحوار الديني والحضاري احياء الحضارات والثقافات والشعوب والاقوام وحشدها في مواجهة المشروع السلطوي الذي يدعو الى تغليب حضارة وثقافة معينة على الحضارات الاخرى وطمسها. انه ـ اي الحوار المذكور ـ جهد بأتجاه صيانة استقلال الشعوب الاخرى، في مقابل التيار السياسي المتسلط على العالم والذي يبشر بالاحادية في كل شيء السياسة والحضارة والثقافة. ومن خلال العولمة والكونية يسعى الى فرض ثقافته وقمع الثقافات الاخرى الصغيرة.(حتى اصطلاح الثقافات الصغيرة اعتبره من القاءات الغرب، فهو يريد ان يصور كل ما عداه بأنه فرع وصغير يقوم على الاساس الحضاري الذي يمثله، وهو بالتالي مصطلح مغرض يهيئ نفسياً للقهر الحضاري.) ولان القوى العظمى اليوم تسعى الى اقصاء الحضارات والثقافات الاخرى، وفرض ثقافتها على كل

البشرية بما يمهد لسيادة الغرب وسيطرته على العالم ودون اي منافس، فأن مشروع احياء الثقافات القديمة والعريقة على امتداد التاريخ البشري، يعدّ تحركاً معقولاً، ويأتي الحوار العلمي والعادل بين الثقافات والحضارات لدفع الدعاية المسمومة والافتراءات التي تتعرض لها الاديان والحضارات والثقافات، وهي بالتالي سبيل لمواجهة العولمة والهيمنة الثقافية الاحادية التي تريد اقصاء الثقافات الاخرى.

و- ويمكن ان نعتبر تعزيز الوحدة بين الموحدين والمؤمنين من جهة وتصحيح العلاقات بين مكونات المجتمع العالمي من جهة اخرى، الانجاز السادس للحوار بين الشعوب والاقوام. فالمجتمع البشري اليوم ممزق ومقسم الى اجزاء، والخيّرون في العالم يحاولون التقريب بين هذه الاجزاء، لكنهم لا يعلمون اين يكمل العلاج وما هو السبيل الى ذلك. والحوار العلمي والعادل والمنطقي والمتوازن هو الذي يقدم تلك الحلول والعلاجات.

ز ـ والهدف السابع للحوار الديني والحضاري هو تنمية ورفع مستوى الامن وازاحة الموانع التي تقف بوجه السلم العالمي. فالتراكم في القوة والتزايد في الثروة الذي حصل لدى احد الاقطاب العالمية،ادى الى الكثير من الفساد وانعدام الامن في العالم. ولو ان قوى الشمال قبلت بالجلوس امام منافس قوي من العالم الثالث والجنوب، وتواجهه على اساس المساواة وضمن اطار منطقي، فأن المسافات ستقل بين الطرفين اكيداً، مما يؤدي الى تثبيت واستقرار السلم العالمي وعودة الهدوء الى المجتمع الدولي.

واؤكد ان مثل هذه النتائج ستحصل اذا ما قبل المنافس القوي النزول عن اريكة سلطته وغروره والجلوس امامنا على اساس من المساواة والندية. وبالاساس فأن حصول مثل هذا الذي اشرت اليه رهن بمراعاة منطق الحوار، وتوفير ظروفه والاسس التي يقوم عليها. وفي حال عكس ذلك، لن يكون الحوار ذا فائدة،و سيتحول نفعه الى ضرر، بل ان يكون هناك حوار بالاساس، لان بداية الحوار وبالشروط التي اشرنا اليها يحتاج الى مراعاة منطق وقواعد الحوار، او انه سيبوء بالفشل في مراحله الاولى ويتوقف، او حتى لن يصل الى النتيجه المرجوة بغض النظر عن الشكليات، او تكون نتائج الحوار معكوسة وخلافاً لما يتوقع منه.

وفي نهاية المقال سأشير بأختصار الى قواعد واسس الحـوار الـديني والحضـاري، والتي تتلخص بالتالي:

١- الايمان بمبدأ «التعاون» من بين المبادئ الاربعة المطروحة، وهي :«التعارض»، «التباين»، «التوالد» و«التعاون» بين الاديان والحضارات.

٢- تعريف وتحديد طبيعة، اهداف،موضوع ومنطق الحوار، وذلـك قبـل الجلـوس على طاولة الحوار.

٣- الاطلاع الدقيق والعميق على نقاط الالتقاء والافتراق والمعرفة الصحيحة عـن الاديان والحضارات التي يجري الحوار معها.

٤- مشاركة وحديث ممثلي الديانات والحضـارات مـن زاويـة تمثيلهم لأممهـم وشعوبهم، ومن حيث المنظومة الثقافية والفكرية التي ينتمون اليها.

و في هذه النقطة يكمن الاختلاف بين الحوار والخطاب، ففي القرون الاخيرة كـان الاستلاب والانبهار الذي يشعر به المثقفون ازاء الحضارات الاخرى المنافسة هي الآفة والمشكلة الاكبر التي يواجهونها، الامر الذي عرض حياة الحضارات العريقة الى تهديد حقيقي. لذلك فأن الايمان بالتراث الديني والحضاري القيم والغني الذي يمثله المحاور هو شرط صلاحيته في التمثيل.

٥- الاعتراف بأصالة واستقلالية ووجود الطرف الاخر في الحوار (من جملة ذلـك: الاعتراف بدين الحضارة الحديثة مقارنة بالاديان والحضارات المعنوية العريقة) وتجنب التفرعن والتحكّم، والقبول «بالمستلزمات المدنية للحوار» وفقاً للمعايير العالمية.

٦- احراز صدق طرفي الحوار، والمؤشرات التالية تفيد في قضية الصدق:

١-٦ – قبول الحق بدل التمسك بالمصلحة، والتمسك بالدليل بدل السببية.

٢-٦ ـ احترام عقائد وقيم الطرف المقابل في الحوار.

٣-٦ ـ التطابق بين الكلام والسلوك (العمل) اي تجنب النفاق او الازدواجية.

٧- تجنب تسييس مقولة الحوار (وهنا يتضح اكثر السؤال المطروح آنفـاً: مـن هـم الممثلون الحقيقيون للدين والحضارات ؟).